مدرستنا في رومية فلا تنقضي . ومن جهة الاب رئيس المدرسة فانه لم يرسل حسب المعتاد اجرة السفر ونفقاته لارسال هؤلاء الاحداث فنحن لا يتيسّر لنا ان نقوم بما يقتضيه هذا الامر . اعتقد ان مندوبينا قد قدموا رسائلنا الى ابوتكم الكلي احترامها واخبروكم عن تخلُّفنا (على الكرسي البطريركي) بعد موت البطريرك يوحنا الطيب الذكر وكم حلّ بعد موته وانتخاب البطريرك الجديد من الظلم والعونيات والباس والاضرار الفادحة . فارجو من ابوتكم ان تتفضلوا وتعرضوا اقداسته وللمجمع المقدس احتياجنا وفقرنا وعن المال الوافر الذي دُفع ربّي الذي سيكون منه فرصة لخراب هذا الكرسي المسكين . اني اخاطب ابوتكم سرًّا وبكل ثقة بسبب المودّة التي اشعر بها نحوكم واشعر بها دائمًا كما هو واجب نحو استاذي الذي اعزُّهُ كثيرًا وله معروف جزيل عليّ . وابوتكم تتذكر اني انتُخبت من غير استحقاق مني لهذا المقام البطريركي ضد ارادتي كاول ثمرة لهذه المدرسة (الرومانية) في هذه الوظيفة وكثرة اتعاب اباء الرهبنة اليسوعية وهي بالحقيقة «ثمرة شديدة المرارة» . .

ثم يعرب البطريرك عن تعلقه بالرهبنة ويطلب مساعدتها الادبية اي توسط الاب العام لدى قداسته ويرجو اعتناءه المتواصل بالمدرسة ويختم طالبًا صلواته ودعاءه

(لها بقيّة)

شهداء المجمع الخلقيدوني في التاريخ

للاب لويس شيخو اليسوعي

سألنا احد افاضل كهنة السريان ماذا ورد في التاريخ عن الشهداء الذين تكرمهم الطائفة المارونيّة تحت اسم تلامذة القديس مارون في غاية شهر تموز ؟

نجيب على ذلك انّ ذكر هؤلاء الشهداء مدوّن في سنكسار الكنيسة الرومانيّة في ٣١ تموز على هذه الصورة : «في سوريّة تذكار الشهداء القديسين الثلثمائة والخمسين الذين قتلهم الهراطقة لدفاعهم عن المجمع الخلقيدونيّ»

وجاء في السنكسار الماروني الذي ألّفهُ الطيّب الذكر السيد بطرس مخلوف

رئيس اساقفة قبرس على الموارنة ما حرفهُ (عن النسخة التي لدى حضرة الخوري بطرس عالب) :

«اليوم الحادي والثلاثون (من شهر تشرين) جهاد الثلثمائة وخمسين راهب الذين قتلهم ساويروا في ايّام الملك انسطاس وهؤلاء كانوا من بلاد الشام من رهبان ابينا البار مار مارون وكان يوم استشهادهم بسنة الخمسمائة وخمسة وثلثين رتّابيّة وسبب قتلهم كان لانهم كانوا متمسكين في ما سنّ وفرض بمجمع خلقيدونية»

وفي السنكسار الذي كتبهُ السيّد الجليل جرمانوس فرحات جاء بعد ذكر القديس اغناطيوس دي لويولا الواقع عيدهُ في ذلك اليوم ما نصُّهُ (عن نسخة مكتبتنا الشرقيّة) :

«وفي هذا اليوم ايضاً ذكر الرهبان الشهداء الثلثمائة والخمسين الذين قتلهم ساويروس الاسقف (الدخيل) من تبّاع اوطاخي وديوسقوروس في ايّام الملك انسطاس المبتدع لانهم كانوا من رهبان البار مار مارون الناسك متمسكين بايمان المجمع الخلقيدوني المقدّس وكان ذلك سنة خمسمائة وسبع عشرة للمسيح . ومن هذه الرهبنة ظهر البار يوحنّا الذي من اجل غيرتهِ في صيانة الايمان المستقيم سمّي من الكرسيّ الرسولي اوّل بطرك على الملّة المارونيّة صلاتهُ تكون معنا»

وبناء عليهِ قد بقي تذكار هؤلاء الشهداء شائعاً في الطائفة المارونيّة الكريمة وهم اليوم يقيمون لهم عيداً في كلّ الكنائس وفيهِ يبطلون عن كلّ الاعمال الماديّة . قلنا «اليوم» ولا نعلم العهد الذي فرض الرؤساء تعييدهُ والفراغ فيهِ عن الاشغال وما لا شكّ فيهِ انّ العيد لم يسبق زمن اجتماع المجمع اللبناني سنة ١٧٣٥ اذ لا ذكر لهُ في جدول الاعياد الفرضيّة المذكورة للطائفة (اطلب اعمال المجمع التي عرّبها المثلث الرحمات المطران يوسف نجم ص ٢٤—٢٩) . وانّما جاء في جملة مناشير الحبر الاعظم اقليمس الثاني عشر براءة تاريخها ١٥ نيسان سنة ١٧٣٤ يمنح فيها عدّة غفارين كاملة لرهبان القديس انطونيوس اللبنانيين ولزوّار كنائسهم في بعض اعياد السنة من جملتها عيد الثلثمائة والخمسين شهيداً (Anaissi: Bullarium Maronitarum, p.238) ثمّ عاد البابا بندكتوس الرابع عشر وثبّت تلك الغفارين وشرك بها جميع الكنائس المارونيّة وذلك في تاريخ ١٢ آب سنة ١٧٤٤ (ibid. p. 316) . ولعلّ رؤساء الطائفة فرضوا مذ ذاك الحين الاحتفال بعيد هؤلاء الشهداء

ولكن ما هو سند السنكسارات السابق ذكرها في روايتهم عن هؤلاء الشهداء ؟ وما هو اصلهم ؟ وفي اي دير كان سكناهم ؟ ولاي سبب قُتلوا ؟ ومتى وابن كان مقتلهم ؟ وما سبب انتمائهم الى القديس مارون ؟ . فهذه مطالب موجودةٌ ضمناً في سؤال الكاهن الذي اقترح علينا الجواب عمّا ورد في التاريخ عن هؤلاء الشهداء . فنجيب عليها باباً باباً

١ ما هو سند السنكسارات في روايتهم عن الشهداء ال ٣٥٠

لهذه الرواية سند متين لا شبهة فيه ألا وهي الرسالة التي كتبها باليونانيّة رهبان اقليم سوريّة الثانية الى الحبر الاعظم القديس هُرميسدا وهي تتضمّن مُجمل الاخبار عن تلك الحادثة المفجعة . وقد نُشرت الرسالة المذكورة معرّبةً في تاريخ الطائفة المارونيّة للدويهي (ص ٤١—٤٣) وكتاب مروج الاخبار في تراجم الابرار المطبوع في مطبعتنا (ص ٤٣٥) مع بعض اختلاف في الترجمة . فاجابهم الحبر الروماني على كتابهم وأثنى على صبرهم وشهامة شهدائهم واوقع الحرم على مضطهديهم (MANSI: Conciliorum Collectio, t. VIII, 1024-1030)

ولنا على صدق هذه الرواية شاهد آخر ساطع في العريضة التي قدّمها رؤساء ادبار مقاطعة افامية في سوريّة الثانية الى اساقفتهم وقد اشار اليها بارونيوس في ذكر اعمال البابا هورميسدا في سنة رئاسته الخامسة الموافقة لسنة ٥١٨ للمسيح (تحت العدد ٤٨ من طبعة باريس ج ٩ ص ٢٠٧) والعريضة مذكورة في مجموعة المجامع للانسي (ibid : 1023-1030) باليونانيّة مع ترجمتها اللاتينيّة التي بدؤها Docuerunt nos divinæ Scripturæ

ففي هذه العريضة تفاصيل ما قاساه الرهبان الشهداء من الاهانات والعذابات وضروب القتل لدفاعهم عن المجمع الخلقيدوني من قبل الهراطقة اعداء المجمع وهي مُمضاة بتوقيعات رؤساء الاديار ورهبان وكينة وشمامسة

٢ اصل الشهداء المئتان والخمسين

لسنا نعلم اسماء هؤلاء الشهداء ولم يكونوا كلّهم من دير واحد بل من اديرة

مختلفة في جهات افامية ووادي العاصي ويلوح ذلك من نص الرسالة الموجهة الى الحبر الاعظم القديس هورميسدا قد امضاها عدد عديد من الشهود بينهم خمسة وعشرون رئيساً لاديار شتى بين افامية الى انحاء انطاكية منها ما هو على اسم شهداء او قديسين يونانيين او بلاد اجنبية كدير القديس افتيميوس وثلاسيوس واستيريوس ومكسيميوس وزينوبيوس ولورنسيوس ودير الرومانيين ودلماتيوس الخ ومنها ما هو على اسم انبياء او قديسين وطنيين كدير القديسين ايليا وأيوب واشعيا ويوحنا المعمدان ودير السوريين الخ ومارون وابراهام وقرياقوس. وكذلك اسماء الرؤساء. فمنهم ما اسماؤهم اجنبية محضة كاريانوس واغابيتوس وألوتريوس وفوقاس وجنّاديوس وسرقلوس وزوزيموس وستراتونيكوس واتيكوس الخ وغيرهم يُدعون باسماء شرقية كبولس ويعقوب ويوسف ويوحنا وجرجس وانطون واسحاق الخ. وكثير من رؤساء الاديرة يضمون اسماءهم بذكر رُتبهم الشائعة عند اليونان كارشمندريت وهيغومان

فينتج عن هذه الامضاءات انّ تلك الاديرة المنتمية الى قديسين غربيين والمترئس عليها رؤساء اجانب لم يسكنها رهبان وطنيّون او كانوا فيها عدداً قليلاً وعلى خلاف ذلك الاديرة التي كانت تحت شفاعة قديسين شرقيين كان معظم رهبانها شرقيين. فلا بُدّ اذن ان يكون الشهداء الثلثمائة والخمسون من عناصر مختلفة وطنيّة واجنبيّة معاً

وفي آخر هذه التوقيعات اسم مندوب دير القديس مارون الذي يُدعى «بولس الراهب الابوكريزيار (ἀποκρισιάριος) ويلقّب اسم الدير بالدير الاكسارخي (τοῦ ἐξάρχου) (ἐξάρχους) المتولي على اديرة سوريّة الثانية. أمّا رئيس الدير فيُدعى في محلّ آخر باسم اسكندر ويلقّب ايضاً بالارشمندريت

٣ من قلديم وما سبب قلديم

انّ الاسانيد التي اشرنا اليها تصرّح بالامرين ولا تدع شبهة في ذلك. فانّ اصحاب البدعة المنوفسيّة القائلين بطبيعة واحدة في المسيح الذين كان المجمع الخلقيدوني المسكوني الرابع رشقهم بسهم الحرم مع زعيمهم اوطاخي وديوسقورس كانوا وجدوا عضداً جديداً في اوائل القرن السادس بالبطريرك الدخيل ساويروس او ساويرا الانطاكي الذي اختلس البطريركية من السنة ٥١٢ الى ٥١٨ فأثار على

الاورثذكسيين الكاثوليك اضطهاداً دموياً في انحاء سورية . وتحزّب له بعض الاساقفة والرهبان منهم بطرس اسقف افامية (١ الذي في ايرشيته كانت واقعة الاديرة المشار اليها . وكان رهبان اديرة سورية الثانية على خلاف ذلك يذودون عن حياض الايمان المستقيم ويناهضون كلّ اعداء المجمع الخلقيدوني فكان ساويروس وحزبهُ يترصّدونهم ليوقعوا بهم واذ علموا سنة ٥١٧ بأن اولئك الرهبان على وشك المسير الى دير القديس سمعان العمودي الواقع في جهات انطاكية كمنوا لهم في الطريق فلمّا بلغوا الى قربهم هجموا عليهم كالذئاب الخاطفة فاذاقوهم امرَّ العذابات وقتلوا منهم هؤلاء الثلثمائة والخمسين والتخنوا بعضهم بالجراح حتى الذين لاذوا بحمى الكنائس وسيّروا قوماً من انصارهم الى الاديرة فنهبوا وسلبوا واضرموا النار في الاديار والبيع . وكلّ ذلك بغضاً بايمان اولئك الصالحين المدافعين عن تعاليم المجمع المقدّس كما تقرّر ذلك في المجمع الذي عقدهُ في القسطنطينية البطرك القسطنطيني ومنّاس سنة ٥١٨ وفي رسالة الحبر الاعظم هورميسدا الى آباء المجمع فجدّدوا الحرم على المبتدعين وخصوصاً على ساويروس وبطرس اسقف افامية والراهب زُواراس

٤ متى قتل هؤلاء الشهداء

كان استشهاد الرهبان المذكورين في السنة ٥١٧ السابقة لوفاة الملك انستاس (٤٩١–٥١٨) الذي عُرف بمناهضته للايمان المستقيم وهي ايضاً السنة التي مات فيها ساويروس فدعاهما الله ليؤديا الحساب عن آثامهما ومنهُ يتّضح غلط السنكسار المنسوب الى المطران بطرس مخاوف الذي جعل استشهادهم في السنة ٥٣٥ وفي تلك السنة كان الملك انستاس وساويروس البطريرك الدخيل والبابا القديس هورميسدا (٥١٤–٥٢٣) قد توفّوا كلهم منذ زمن طويل . وقد أحسن السيّد جرمانوس فرحات في سنكساره اذ صحّح ذلك الغلط وجعل استشهادهم في السنة ٥١٧ م

٥ ايهم قتلوا

يقال في ترجمة هؤلاء الشهداء انّهم كانوا من اديار معاملة افامية وافامية هذه

(١ ليس هو بطرس القصّار بطرك انطاكية الهرطوقي كما روى البعض فانّ هذا كان توفي سنة ٤٨٨

مدينة قديمة على العاصي شمالي غربي مدينة حماة واقعة اليوم في دولة العلويين وتُعرف بقاياها بقلعة المضيق. وكان الدير المبني على ذكر القديس مارون بجوار المدينة في وادي نهر العاصي. وقد ثبت هذا الدير زاهرًا الى ايام الملك هرقل الذي زارهُ في اوائل القرن السابع ولعلَّهُ بقي الى القرن الثامن والتاسع وفيهِ يقول المسعودي في كتابهِ التنبيه والاشراق (ص ١٦٣):

« هذا الدير شرقي حماة وشيزر ذو بنيان عظيم حولهُ أكثر من ثلثمائة صومعة فيها الرهبان وكان فيهِ من آلات الذهب والفضَّة والجوهر شيء عظيم فخرب هذا الدير وما حولهُ من الصوامع بتواتر الفتن وحيف السلطان وهو بقرب من نهر الارنط نهر حمص وانطاكية »

فبتدبير هؤلاء الرهبان من اديرتهم الى دير مار سمعان وهو على مسافة نحو ٨٠ كيلومترًا من افامية كان لا بُدَّ لهم من قطع جبال يسهل فيها على عصابات الاشقياء ان يفتكوا بابناء السبيل كجبال الاكراد وجبل قصير. فلا مراء انَّ ساويروس وانصارهُ كانوا يرقبونهم في تلك الانحاء فوثبوا عليهم وهم رهبان عُزَّل لا سلاح معهم فذهبوا ضحايا اولئك المهج الاشرار المادين للكنيسة وتعاليمها

٦ طازا بقال لرهبان الشهداء تلامذة مار مارون

بديهيٌّ ان القديس والناسك العظيم مار مارون كان توفي قبل استشهاد هؤلاء الرهبان بنيف ومئة سنة. وانَّما كان بعض ذوي التقى والصلاح شيَّدوا على اسمهِ دير مار مارون السابق ذكرهُ ولعلَّهم نقلوا اليهِ قسمًا من ذخائرهِ من جهات قورش التي عندها مات موت الابرار وحُفظت جثَّتهُ بكل اكرام. ولمَّا كان بعض اولئك الشهداء من الدير المذكور نُسبوا الى شفيعهِ الذي اتخذوهُ مثالًا لحياتهم النسكيَّة ولاعتصامهم بحبل الايمان القويم فماتوا لاجلهِ ميتة الابطال واستحقُّوا ان يُنظموا في عداد شهدائهِ البررة. فنِعْمَ القدوة يقتدي بها الوارثة بل جميع الكاثوليك اذ يجرون على آثارهم في حفظ ذخيرة ايمانهم والدفاع عنها بازاء كل مناوئيها. آمين